جامعة واسط
مجلـــة كليـــة التربيـــة

العـــــدد السابع والثلاثون
الجزء الأول / تشرين الثاني / ٢٠١٩

" اليتيم في فكر الإمام علي (ع) "

م.د. علي زناد كلش
المديرية العامة لتربية ميسان

المستخلص

تشغل مسألة اليتيم أهمية كبيرة في الميادين المختلفة للحياة نظراً لأهيمتها وحساسيتها وتأثيراتها على المستوى الذاتي لليتيم فضلاً عن المستوى العام ، لذا ارتأينا أن نبحث في موضوع اليتيم على المستويين الديني والاجتماعي وبيان أوجه التقابل أو التعارض بينهما في صورة التعامل الأمثل مع اليتيم ، وبيان الدلالات الصحيحة التي تُشكّل محوراً أساسياً في التعامل معه للنهوض به ، وتعويضه عما فقده ، وإشراكه في المنظومة المجتمعية كعنصر فعّال ومؤثر على مستويات عدّة ، وكان خير مثال على ذلك أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) وما قدّمه من دروس للبشرية في أسلوب التعامل الأمثل مع اليتيم ، في قبال استيضاح التأثيرات السلبية لدور اليتيم التي تنبع من نتاج الإهمال والتقصير الصادر من عقول غير واعية أو من أفعال مُتعمّدة لتهميش وإقصاء وتضييع وتشريد واستغلال لذلك المكون المهم المؤثر في حركة المجتمع وإسهامه في إرتقائه أو الهبوط به .

Abstract

The issue of orphan occupies an great importance in the various fields of life due to their momentousness, sensitiveness and impact on the self-level of the orphan, as well as the general level. Then we decided to research the topic of the orphan at the religious and social levels and to show the contrasts or oppositions between them in the best manner of dealing with the orphan, and the right significances are demonstrated that form essential heart to deal with it for its rising, its reparation whereof lost it, and to participate it in the social system as an effective and influential factor in many levels. The best example of this was the caliph of Ali bin Abi-Talib (Alah Alsalam) that he presented studies for mankind in the best dealing method with the orphan, what is more the negative effects are explored the role of the orphan, which flow from the product of negligence and dereliction emanate of minds is unconscious or deliberate performances to marginalization, exclusion, remissness, displacement, and exploitation of that component influential and important in the movement of society and its contribution to progress and rise it.

المقدمة

الحمد لله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم بديع السماوات والأرض وما بينهما ، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله محمد بن عبد الله ﴿ ﷺ ﴾ وعلى آله الطيبين الطاهرين ، ومن سار على هديهم إلى يوم الدين .

وبعد ، تشغل الدراسات التي تتعلق بأمير المؤمنين علي (عليه السلام) أهمية كبيرة كون هذه الشخصية لها من التأثير على مستويات عدّة لا يمكن تركها أو دراستها بصورة سطحية دون التعمق بها ، وإن كُنا لا ندرك الكنه الحقيقي لهذه الشخصية الإلهية لكننا نبحث في إطار الممكن العقلي لنا في معرفته واختيارنا للبحث بعنوان " اليتيم في فكر الإمام علي (عليه السلام) " له أسبابه ودوافعه ومنها :

أولاً : إن أغلب الدراسات التي تحدثت عن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) نظرت له وركّزت عليه من جانب واحد وتركت الجوانب الأخرى بمعنى إن دراستهم للشخصية العلوية كانت دراسة تجزيئية وهكذا نوع من الدراسات يقتطع الحقيقة ويُقدمها مبتورة ، على العكس لو كانت الدراسة الشخصية كُليّة غير متجاهلة جانب من الجوانب عندها ستكون الدراسة رصينة وواضحة المعالم ، إذ نجد الدراسات التجزيئية ركّزت على الجانب البطولي والشجاعة للإمام علي (عليه السلام) وقدمته وكأنه ترسانة مسلحة وصاحب سيف يقطر دماً متجرداً من الإنسانية ، نعم لا ضير في ذكر الجانب البطولي لأمير المؤمنين (عليه السلام) كونه أحد أجزاء شخصيته الشريفة لكن جعله المثال والجانب الأوحد له يُرسل رسالة سلبية للآخر في تصدير شخصية الإمام علي (عليه السلام) بغير صورتها الحقيقية ، فتركيزنا على الجانب الإنساني وهو دراسة اليتيم عند الإمام علي (عليه السلام) هو جزء من إيضاح الصورة الإنسانية للإمام علي (عليه السلام) وبيان الوجه الثاني له غير العسكري لتكتمل ملامح شخصيته كون إن خطاب المرحلة هو خطاب تسويق البُعد الإنساني ليكون اكثر استساغة ومقبولية في استجلاب مقبولية الآخر وإزاحة ما غُمض أو ما كان متصوراً عن شخصية الإمام (عليه السلام) من جانب واحد.

ثانياً : بيان محددات وضوابط التعامل الأمثل مع اليتيم وفق ما أقرّته السماء وسطرته الشريعة السمحاء من خلال شخصية الإمام علي (عليه السلام) صاحب الدراسة كونه المسؤول والمنفّذ لتلك المحددات والضوابط ليكون رسالة مفادها توضيح ما أُشكل وما التبس على بعض المتصيدين في سعيهم للانتقاص من الشريعة الإسلامية ووسمها بالتقصير بحق اليتيم .

ثالثاً: اختيارنا لليتيم كموضوع للدراسة نابع من ضرورة اجتماعية وحاجة مُلحّة كون الأيتام في وقتنا الحاضر قد كثُرت أعدادهم وازدادت حوائجهم وتعقّدت سبل التعامل معهم نتيجة الحروب والكوارث التي توالت على مجتمعنا ما زالت لغاية الأن ، وواحدة من سبل المعالجات لهذه المشكلة الكبيرة هي كتابة بحوث تلامس حاجة المجتمع وتعالج مشاكله لا سيما ربط الموضوع بشخصية كاملة كأمير المؤمنين (عليه السلام) لتكون حجة على الآخرين في بيان صورة التعامل الأمثل مع الأيتام .

رابعاً: من دوافع كتابة هذا البحث هو الدعوة للتركيز على مسألة اليتيم من قِبل المؤسسات والباحثين وعدم تجاهلهم ، فالدعم وتقديم العون لا يقتصر فقط على الجانب المادي وإنما الجانب المعنوي الذي يتمثل بوضع دراسات مُحفّزة للآخرين تجاه الأيتام وتنبيه من كان غافلاً عنهم .

اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وأربع مباحث مقسمة على فقرات عدّة ، إذ كان المبحث الأول قد عُنيَ بـ (المفهوم اللغوي والإصطلاحي) لليتيم وبيان أصل معنى اليتم وذكر نعوته ، أما المبحث الثاني فقد كُرّس لـ (اليتيم في القرآن الكريم) من خلال بيان وإدراج وتوضيح الآيات القرآنية التي تحدثت عن اليتيم مع إشارات توضيحية مختصرة لبعض الآيات ، وصلب الموضع كان في المبحثين الثالث والرابع ، فأما المبحث الثالث الذي أسميناه (اليتيم في فكر الإمام علي (عليه السلام)) بعنوان البحث لزيادة التركيز عليه فقد قُسّم إلى فقرات عدّة وهي كالآتي (الرعاية والاهتمام ، التعهد والتكفل ، التحذير من ظلم اليتيم والتقصير في حقوقه ، الترغيب في مراعاة الأيتام والمنهج التربوي للأيتام) ، أما المبحث الرابع الذي خُصّصَ لإيراد بعض المواقف السلوكية العملية للإمام علي (عليه السلام) مع الأيتام من خلال بعض القصص والأحداث لكي ننقل الكلام من الواقع النظري إلى الواقع التطبيقي العملي لتكتمل ملامح الصورة بجانبيها (النظري والعملي) .

وخُتمت الدراسة بأهم المعطيات و النقاط التي تُعدُّ جديرة بالاهتمام ويتوجب الإشارة، منها ما ذُكر في ثنايا البحث وبعضها عمدنا إلى إبرازها بصورة مستقلة لبيان أهم النقاط البارزة المتعلقة بالموضوع .

وختاماً اسأل الله العلي القدير أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة ، وأبرزت فيها قدر المستطاع الصورة الواضحة والمطلوبة المرتبطة في هذا الموضوع ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق أجمعين محمد بن عبد الله وعلى آله الطيبين الطاهرين إلى قيام يوم الدين.

المبحث الأول

المفهوم اللغوي والإصطلاحي

قبل الشروع في بيان العرض الرئيس لليتيم وما يتعلق به من أبعاد ، ينبغي لنا أن نوضّح المفاهيم اللغوية والاصطلاحية لليتيم لرسم صورة معرفية عن أصل الموضوع وما المقصود به ، فأساس الموضوع ينطلق من معرفته وتوضيح مقاصده ليكون باباً للدخول في صلب الموضوع وكاشفاً عنه ، فضلاً عن تضييق معناه وحصره في قصدية معينة بعيداً عن الكلمة المعجمية ، لا سيما وأن تحولات المصطلح قائمة على قدمٍ وساق ، لأن الكلمة التي تأتي معزولة عن بقية الكلمات تعطي مفاهيم عدّة وتصبح منفلتة المعنى كما في المعاجم اللغوية فإنَّ الكلمة الواحدة لها عدة معانٍ لكن عندما تدخل في سياق ما ينحرف معناها المعجمي لصالح المعنى السياقي ، وقد يجبرها على الانزياح كلياً عن ذلك المعنى ، ولنعطي مثالاً على ذلك لأن الادعاءات تحتاج إلى إثبات المقولات بأمثلة تطبيقية وإلا بقيت في فضاء التنظير ، إذ ذهب أحد الباحثين بالقول إلى أن " الكلمة في المعجم تحمل معنى متعدداً ومحتملاً ، أما في السياق فالمعنى واحد لا يتعدد بسبب ما في السياق من قرائن ، فالفعل (نشر) في نشر الغسيل أي جففه، ونشر الكتاب : وزعه ، ونشر الخشب : قطعه "[١] ، وكذا الحال ينطبق على لفظة اليتيم لها معانٍ عدّة لا سيما في المعنى الاصطلاحي ، ولنا أن نبدأ بالأصل اللغوي لكلمة اليتيم :

اليتيم لغةً :

يَتِم يَيْتَمُ يُتْماً [٢] ، اليتيم جمعه أيتام و يتامى وقد يتم الصبي بالكسر ييتم يتما بضم الياء وفتحها مع سكون التاء فيهما [٣] ، يتيم يتما و يتما ، بالتسكين فيهما . ويقال : يتم و يتم و أيتمه ... [٤] ، واليتم المصدر يتم الصبي ييتم يتما ويتما إذا صار يتيما .ويجمع يتيم يتمة وأيتاما[٥] ، وكل منفرد يتيم ، يقال درة يتيمة تنبيها على أنه انقطع مادتها التي خرجت منها وقيل بيت يتيم تشبيها بالدرة اليتيمة[٦] .

اليتيم إصطلاحاً :

اليتيم : كل شيء مفرد يعز نظيره فهو يتيم يقال درة يتيمة [٧] ، اليتيم من الناس صغير مات أبوه ومن غير الناس الذي ماتت أمه ... اليتم الانفراد واليتيم صغير لا أب له ودرة يتيمة أي لا نظير لها ومن ثم أطلق اليتيم على كل مفرد يعز نظيره [٨] ، واليتم في الناس من قبل الأب وفي البهائم من قبل الأم ، ولا يقال لمن فقد الأم من الناس يتيم ، ولكن منقطع . قال ابن بري : اليتيم الذي يموت أبوه ، والعجيُّ الذي تموت أمه ، واللطيم الذي يموت أبواه[٩] وقد يطلق عليهما مجازا بعد البلوغ كما كانوا يسمون النبي ﴿ ﷺ ﴾ وهو كبير يتيم أبي طالب لأنه رباه بعد موت أبيه ومنه الحديث تستأمر اليتيمة في نفسها فإن سكتت فهو إذنها أراد باليتيمة البكر البالغة التي مات أبوها قبل بلوغها فلزمها اسم اليتم فدعيت به وهي بالغة مجازا وقيل المرأة لا يزول عنها اسم اليتم مالم تتزوج فإذا تزوجت ذهب عنها[١٠].

أما أصل معنى اليُتم فقد اختلف فيه علماء اللغة على النحو الآتي :

الأول : الانفراد ، وهو الأصل الذي تعارف عليه الكثير من علماء اللغة[١١] ، واستعمل اليُتم هنا بالمعنى المجازي في كل ما انفرد وعز نظيره .

الثاني : الغفلة ، وسُميَّ بذلك لأنه يُتغافل عن بِره [١٢] .

الثالث : الإبطاء ، لأن البرّ يبْطِيء عنه [١٣].

الرابع : الضعف والتقصير ، وقد وصفت بذلك النساء ففي رواية عن الشعبي " أن امرأة جاءت إليه فقالت إني امرأة يتيمة فضحك أصحابه فقال النساء كلهن يتامى أي ضعائف " [١٤] ، ومنه أيضاً " قصَّر وفتر وأعيا وأبطأ "[١٥] .

الخامس : من معاني اليتم الهمَّ[١٦] ، ويبدو إن هذا المعنى الأخير مرتبط بالجانب النفسي لليتيم وما يعانيه من ألم اليتم.

أما نعوت اليتيم فتكون على أنواع :

الأول : اليتيم ، يطلق على من فقد أباه دون سن البلوغ .

الثاني : اللطيم ، من فقد أبويه . الأب والأم . معاً .

الثالث : العَجِيُّ ، الذي ماتت أمه فقط .

وهذا ما ذُكر في مصادر اللغة بالقول " العَجِيُّ من الناس الذي تموت أمه فيقام عليه فإن مات أبوه فهو يَتِيمٌ وإن ماتا معاً فهو لَطِيمٌ "[١٧] ، لكن هناك من نعت اليتيم الفاقد لأمهِ بالمنقطع إذ ورد عن ابن منظور " ولا يقال لمن فقد الأم من الناس يتيم ، ولكن منقطع "[١٨] .

بالرغم من تعدد تعريفات لفظة اليتيم إلا إن الملاحظ على هذه التعريفات أّنها تدور في إطار واحد وهو :أّنها تقصر صفة اليتم على مَنْ فقد أباه وما يزال في سن الطفولة لم يبلغ الحلم بعد؛ لأنّ الأب هو المعيل والمنفق ، وبذلك نستطيع أن نحدد صياغة لتعريف اليتيم هو "الصغير الذي فقد أباه وهو ما يزال دون سن البلوغ والحلم" ، والمقطع الأخير من التعريف له تشريع نبوي حدد فيه المرحلة العمرية لليتيم بقول الرسول الأكرم ﴿ ﷺ ﴾ " لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَام "[١٩] ، وقول أمير المؤمنين علي (عليه السلام) عن رسول الله ﴿ ﷺ ﴾ "لا يُتْم بعد الحلم"[٢٠] ، وأما ما نراه من إطلاق لفظة اليتيم على الكبير بعد بلوغه فهو إطلاق مجازي ، وليس حقيقي إذ أُشيرَ إلى ذلك بالقول " وقد يطلق عليهما مجازا بعد البلوغ كما كانوا يسمون النبي ﴿ ﷺ ﴾ وهو كبير يتيم أبي طالب لأنه رباه بعد موت أبيه " [٢١] .

المبحث الثاني

اليتيم في القرآن الكريم

القرآن الكريم بوصفه دستوراً للمسلمين يُحدد مسارات التوجه السلوكي الأمثل مع الموضوعات المختلفة ، ولذلك نجد أن بعض الموضوعات يوليها عناية فائقة ويعطيها زخماً حضورياً يلفت النظر من خلال التكرار لها في سوره المباركة مما يؤشر إلى بعد غائي ورسالة توجيهية من وراء ذلك التكرار لعلّه أهمها التأكيد والتذكير لذلك الموضوع ، ويجرنا ذلك إلى الافتراض إن هذا التكرار هو تعبير عن حساسية وخطورة وأهمية الموضوع الذي تناوله القرآن الكريم ، ومن بين تلك الموضوعات التي شكّلت حضوراً لافتاً في النصوص القرآنية هو اليتيم ، إذ أولى القرآن الكريم عناية فائقة فيما يخص اليتيم وشأنه ، سواءً على مستوى التبيان لماهية اليتيم ، ووضع الأسس الواضحة ، والحدود الصارمة لرعايته ، والاهتمام به ، والحفاظ على كل حقوقه حتى يبلغ سن الرشد ، فضلاً عن وضع المعالجات النفسية والمادية التي تُراعي فيها الظروف النفسية لليتيم نتيجة فقد أبيه ، وإحساسه بالانكسار والذل

والقهر ، فكانت هذه الآيات القرآنية خير مُعين لليتيم على المستوى الذاتي ، ومحدد سلوكي للآخرين في تعيين الصورة الواجبة في التعامل مع اليتيم .

وبملاحظة آيات القرآن الكريم نجد أن كلمة اليتيم جاءت في ثلاث وعشرين موضعاً مما يدل على أهمية الموضوع ، إذ وردت كلمة اليتيم بصيغة المفرد ثماني مرات [٢٢] ، أما بصيغة التثنية فجاءت مرة واحدة [٢٣] ، أما بصيغة الجمع فجاءت أربع عشرة مرة [٢٤] ، وتنوعت التقسيمات التي عالجتها الآيات القرآنية لكن بقراءة دقيقة للآيات نجد أن مسألة حماية أموال اليتيم كان لها حضور كمّي أكبر من غيرها فضلاً عن الرعاية والاهتمام به ، ويبدو إن العناية القرآنية بمسألة أموال اليتيم ناتجة عن قصوره في الاعتناء بأمواله ، وحمايتها وتنميتها كونه لم يبلغ الرشد ، فهناك يتيم يبلغ أشده جسدياً ولكن لا يبلغ الرشد ليكون قيّماً على أمواله ، ولهذا تجد القرآن الكريم قد شدّد على حرمة ماله وحذر من التلاعب به ومن مصاديق تلك الآيات " وَآتُواْ الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَتَبَدَّلُواْ الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلاَ تَأْكُلُواْ أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا" النساء / ٢ ، " وَابْتَلُواْ الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُواْ النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُواْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلاَ تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا" النساء / ٦ ، " وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً " الأسراء / ٣٤ ، وهناك ما نجده في القرآن الكريم يحث فيه على ضرورة صيانة وحفظ الميراث وهذا ما نفهمه من الآية القرآنية " وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا" الكهف / ٨٢ ، وهناك الكثير من الآيات التي تحدثت عن هذا الموضوع ، ومنها ما تحدث عن فرض نصيب من الخمس لليتيم " وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ" الأنفال / ٤١ ، ومنها ما تحدثت عنه الآيات عن حرمة القهر والغلبة وضرورة عدم التعدي على اليتيم وزجره ونهره " فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ" الضحى / ٩ ، وأشار إلى حرمة الدع وهو " الدَّفْعُ العَنِيفُ "[٢٥] إذ ورد " فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ" الماعون / ٢ ، كذلك نجد حق الرعاية والإيواء " أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى " الضحى / ٦ ، وهناك ما يشير في القرآن الكريم إلى حق له من الأهمية لا يمكن التغافل عنها ومنها " وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلاَحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ " القرة / ٢٢٠ ، " وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى ..." النساء / ٣٦ ، واقتصرنا هنا على نماذج من مصاديق حقوق اليتيم ولم نذكرها جميعاً خشية الإطالة.

ولم يترك القرآن الكريم صورة الإنذار والتحذير لمن يتجرأ على اليتيم وما يتعلق به من حقوق ، إذ حّذر الله تعالى من أكل مال اليتيم، وجَعَله من المعاصي الموبقة، ومن الكبائر وتوعّد من يأكله بالعذاب الشديد ، إذ ذكر القرآن الكريم ، " وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً " الإسراء / ٣٤ ، " وَلاَ تَقْرَبُواْ مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُواْ الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لاَ نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللّهِ أَوْفُواْ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ" الأنعام / ١٥٢ ، وهناك آيات أشدّ وقعاً في التحذير والعاقبة منها " إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا" النساء / ١٠ ، وهنا يصوّر القرآن الكريم مشهداً مرعباً لمن يتجاوز حدود حق اليتيم ، إذ ورد في تفسير هذه الآية " أنه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه وأذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم في الدنيا " [٢٦] .

وأشار أحد الباحثين إلى نقطة في غاية الأهمية بهذا الصدد "يلّحظ أن مشكلة اليتم في الأزمان السابقة لم تكن بقدر ماهي عليه اليوم، فالمفسرون الأوائل فسروا الآيةّ وتكلموا عن الأيتّام بصورة مقتضبة اذا ما قارنا بين التفاسير السابقة و التفاسير المتأخرة، وهذا ما دّلل على اتساع نطاق مشكلة اليتّم في العصور المتأخرة، وقد يكّون من أسباب عظم هذه المشكلة في العهود المتأخرة :كثرة موت الآباء والأمهات بسبب الحروب ووجود أسلحة ، والسبب الآخر الذي هو اشد من السبب الأول وأعظم : التطاول على أموال الأيتام من قبل أوصيائهم أكثر فتكا من الأسلحة السابقة"[٢٧].

يتضح مما أوردناه إن القرآن الكريم قد أولى أهمية فائقة لليتيم وما يتعلق به إذ كانت " هذه الآيات الكريمة جمعت بين طياتها درساً كاملاً لكل ما يحتاجه اليتيم في الحياة الاجتماعية ، فهي الدستور الذي لا بد من تطبيقه للوصول إلى الغاية السامية من رعاية حقوق الضعفاء ، وهي بمجموعها تشكل بيان المراحل التي لابد للكبار من اجتيازها للوصول بهذا الانسان إلى الهدف المنشود "[٢٨].

المبحث الثالث

اليتيم في فكر الإمام علي (عليه السلام)

هناك شخصيات نوعية قل نظيرها في التاريخ سواءً في جانبها الذاتي أو في عطائها الخارجي ، وهذا التميز له أسبابه ومعطياته المتعددة ، وواحدة من هذا الشخصيات التي لم ينجب الزمان مثلها هي شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فلم يترك مجالاً من مجالات الحياة إلا وكانت بصمته واضحة في التوجيه ، والإسهام ، والتصويب ، إذ كان يمثل الامتداد الطبيعي لشخص الرسول الأكرم ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ في المجال السلوكي التطبيقي ، وواحدة من هذه التطبيقات هي مسألة اليتيم وكيفية التعامل معه على المستوى الشخصي أو الجماعي ، ورعايته وضمان حقوقه وعدم التعدي عليها بأي شكل من الأشكال ، وعندما ندرس العلاقة بين الإمام علي (عليه السلام) واليتيم نجدها انعكاس متماثل لما أقرّه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بوصفه ناقلاً لما ورد فيهما على مستوى التطبيق العملي ، ولهذا لا تجد تناقض أو اختلاف بين منهج القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مع ما انتهجه الإمام علي (عليه السلام) من صور سلوكية تعاملية مع اليتيم ، حتى يخيل للكثيرين إن ما يراه من مواقف إيجابية وتوظيف أمثل في فقه التعامل مع اليتيم هو ترجمة عملية للتنظير القرآني والسنني ونقله من ميدان النظرية إلى حيز التطبيق ، والحكم على الصواب من عدمه في التعامل مع اليتيم يكمن في دراسة الأثار التي تستتبع ذلك التعامل ، وهذه المواقف التعاملية لم تكن مُتصنعة بقدر ما كانت سجية مغروسة في شخصية أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في تعدد صور التعامل مع اليتيم من اللطف والتحنن وإداء الحقوق والمراعاة النفسية نتيجة فقد الأبوين أو أحدهما فضلاً عن محاولة دمجهم وإشراكهم في المجتمع لأخذ دورهم وعدم إحساسهم بالدونية أو الثانوية في طبقات المجتمع لتهيئتهم لحياة غد أفضل ، وليكونوا مشاريع للبناء والإنماء يسهم في تكوين مجتمع أمن وسعيد ، أما العكس من ذلك فسيؤسس لمفاهيم سلبية تُلقي بظلالها على نوازع الجانب النفسي الذي يُهيأ الأرضية الملائمة للعزلة الاجتماعية والانحراف السلوكي ، فالتغذية الروحية لليتيم كانت ماثلة في ذهن الإمام علي (عليه السلام) قبل التغذية المادية وهي أشبه ما تكون بتقديم الأهم على المهم ، وما أحوج مجتمعنا اليوم لمثل هكذا رؤيا رحيمة وبرامج توعوية وتعاملية مع اليتيم الذي كثر عددهم وازدادت حوائجهم وتعقّدت سبل التعامل معهم نتيجة الحروب والكوارث التي توالت على مجتمعنا ولا زالت لحد الأن .

ولنا أن نستعرض المواقف والدروس التي وضعها الإمام علي (عليه السلام) من خلال كلامه والأحداث التي وقعت معه في كيفية التعامل مع اليتيم وفق تقسيمات يتخذ كل قسم منه جانباً مهماً يتعلق بحياته وحقوقه ، ومن هذه المواقف والأحداث :

أولاً : الرعاية والاهتمام

احتلت دلالات الرعاية والاهتمام لليتيم حيزاً كبيراً في كلام الإمام علي (عليه السلام) ، مما يؤشر إلى أهمية هذين المفهومين وضرورتهما ، ويتضح ذلك من خلال تأكيد الإمام علي (عليه السلام) على اليتيم وهو في آخر أنفاسه مع شدّة ما يمر به الإمام (عليه السلام) من ألم ضربة عبد الرحمن بن ملجم له ، إذ ورد في وصيَّة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) لولديه الحسن (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) ومن بلغه كتابه، بعدما ضربه عبد الرَّحمن بن ملجم على رأسه: « اللهَ اللهَ فِي الأَيْتَامِ، فَلاَ تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ، وَلاَ يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ »[٢٩]. هذه الكلمات من الإمام عليّ (عليه السلام) تمثّل الصَّرخة أو الاستغاثة التي يدعو الناس من خلالها إلى أن يستنفروا طاقاتهم ويبذلوا جهدهم بما يشبه حال الطوارئ فيما يتعلّق بالاهتمام بالأيتام: «فلا تغبّوا أفواههم . ومعنى غبّ الأفواه أن لا يشبعوا يوماً ويجوعوا يوماً آخر . ولا يضيعوا بحضرتكم»، ومن كافة النّواحي الصحية والتربوية والاجتماعيّة، وعدم الاقتصار على ناحية دون أخرى ، من خلال تخصيص مكان إنساني مميّز لهم في المجتمع، ومن الناحية الاقتصادية، بأنّ نهيئ لهم فرص العمل والعيش الكريم، فالأيتام أمانة الله عند عباده.

وبلحاظ هذه الوصية الرائعة والعميقة في مضامينها نستطيع أن نستخلص منها معطيات عدّة :

الأول : إن وصية الإمام علي (عليه السلام) لم تكن وصية فردية تخصيصية ، بمعنى إنها لم تكن فقط للإمامين الحسن (عليه السلام) والحسين (عليه السلام) فهما أكبر من أن يوصيهما الإمام علي (عليه السلام) لمعرفتهم بحقوق اليتيم وما يترتب عليه من التزامات شرعية وأخلاقية ، وإنما كانت وصية للناس جميعاً من باب تعيين الكل بإسم الجزء ، أو البدء بالأقرب ليكون حجة على الأبعد ، وفي هذا الصدد أُشير بالقول " هذه وصيّة عامّة لأهل بيته و غيرهم من المسلمين "[٣٠] .

الثاني : بتفكيك مضامين كلام الإمام علي (عليه السلام) نجد حالة البدء بالتحذير في ضرورة الحفاظ على الأيتام وما يتعلق بهم فكلمة " الله الله : منصوب على التحذير أي اتّقوا الله ، إيّاكم و التدابر : مفعول لمحذوف على التحذير"[٣١] ، وأشار آخر شارحاً بعض مقاطع الوصية " الله الله : إتقوه .فلا تغبوا

أفواههم:أغبّ القوم: جاءهم يوما و ترك يوما . و المراد : واصلوهم بالإطعام ، و لا تقطعوا صلاتكم عنهم و لايضيعوا بحضرتكم : لا تهملوهم " [٣٢] ، وفي شرح آخر ذكر " فلا تغبوا أفواههم " ، أي لا تجيعوهم بأن تطعموهم غبا ... فلا تغيروا أفواههم " فذاك لان الجائع يتغير فمه ، قال (عليه السلام):لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك " . قال : " ولا يضيعوا بحضرتكم " أي لا تضيعوهم ، فالنهى في الظاهر للأيتام وفي المعنى للأوصياء والاولياء ، والظاهر أنه لا يعنى الايتام الذين لهم مال تحت أيدى أوصيائهم ، لان أولئك الاوصياء محرم عليهم ان يصيبوا من أموال اليتامى إلا القدر النزر جدا عند الضرورة ثم يقضونه مع التمكن ، ومن هذه حاله لا يحسن أن يقال له لا تغبوا أفواه أيتامكم ، وإنما الاظهر انه يعنى الذين مات آباؤهم وهم فقراء يتعين مواساتهم ويقبح القعود عنهم"[٣٣].

الثالث : أراد الإمام علي (عليه السلام) أن يحمّل المجتمع مسؤولية رعاية اليتيم، وأن يشجّعه على ذلك، كما أراد تبيان شيء في غاية الأهمية ألا وهي أن مسؤولية الرعاية والاهتمام باليتيم ليست مقتصرة على الحاكم أو الدولة إنما المسؤولية ذات بعد تضامني تكافلي تشترك فيه كل قطاعات المجتمع لكي تعطي المسألة زخماً واهتماماً ، وليستفيد اليتيم من جانبين (الدولة / المجتمع) فإذا قصّر أحد الأطراف بحق اليتيم يكون الثاني مُعوّضاً لذلك التقصير ، وهي رؤية تنم عن حكمة وفطنة قل نظيرها عند الحكام الآخرين.

وفي سياق مسانخ للوصية باليتيم ودلالتها العميقة ورسالتها القصدية أوصى الإمام علي (عليه السلام) ولديه الإمام الحسن (عليه السلام) والإمام الحسين (عليه السلام) بالقول " وارحما اليتيم وأغيثا الملهوف "[٣٤] ، وهذه الأسباب وغيرها هي التي جعلت طبيعة العلاقة بين الإمام علي (عليه السلام) والأيتام علاقة أبوّة وحنان وعطف نتيجة ما تلمسوه من رحمة بهم ، إذ " كان الامام (عليه السلام) السابق في رعاية الايتام فاليتيم اشد حاجة للعطف والحنان محروم من تلك البسمة الابوية العامرة بالمحبة ... فكان (عليه السلام) ملاطفاً للأيتام يجلسهم في حضنه يلاعبهم كي لا يشعروا بالحزن والكآبة .. وفي تلك الليلة – ليلة وفاته – العشرين من شهر رمضان ، انتظر الاطفال ..الذين كان يجلسهم على ركبته ويمسح رؤوسهم بكل لطف يطعمهم بيده .. انتظروا ذلك الرجل .. لكنه لم يأتِ .. وعندما طلب الطبيب المعالج للإمام احضار الحليب لعله يدفع اثر السم ترى كيف ان عشرات الاطفال الأيتام اتوا من كل انحاء الكوفة يحمل كل منهم اناء فيه حليب واندفعوا نحو منزل الإمام (عليه السلام) يريدون رد الجميل وشكره على محبته ورعايته وحنانه "[٣٥].

الثاني : التعهد والتكفل

هناك فرق بين التوجه نحو الاهتمام والرعاية وبين التعهد والتكفل فالأول لا يعطي صفة الإلزام على نحو عام وهو شامل للمجتمع ككل ويدخل ضمن باب الأولى والترغيب ، لكن مسألة التعهد والتكفل تأخذ صفة الإلزام والتبني من قبل مؤسسات الدولة ، لا سيما وأن تلك المؤسسات الخاصة برعاية الأيتام تُعدّ من أبرز المؤسسات والمنشآت ، فالتعهد هو " العهد الأمان واليمين والموثق والذمة والحفاظ والوصية و عهد إليه من باب فهم أي أوصاه ... و التعهد التحفظ بالشيء "[٣٦] ، ودلالة ذلك التعهد من قبل الدولة وأخذه الصفة الرسمية ما نجده في كتاب الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر (رضي الله عنه) أثناء توجهه لاستلام ولاية مصر إذ قال " وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ"[٣٧] فإعطاء التعهد من قبل خليفة المسلمين الإمام علي (عليه السلام) لواليه على مصر مؤشر واضح على إعطاء المسألة بُعداً رسمياً إلزامياً مرتبطاً بالدولة ليكون التكفل والتعهد ملازماً لهم غير منقطع أو مرتبط بإعانات اجتماعية . مع اهميتها . إلا إنّها لا تأخذ صفة الانتظام في مسألة الاعانات ، وأشار أحد الباحثين إلى أهمية هذا التعهد كونهم من ذوي الحاجات والفاقة مُعلّقاً على عهد الإمام علي (عليه السلام) لواليه ومبيّناً فلسفة تلك الدعوة بالتعهد والتفقد وبيان أهميتها بالقول " فإنها تنطوي على مضمون عظيم القيمة، فهؤلاء الذين يمنعهم الحياء وشرف النفس من إظهار فقرهم ومن نصب أنفسهم للمسألة يموتون جوعا إذا لم يبحث عنهم الحاكم ويرعى أمورهم، ولذلك أمر الامام واليه بأن يتفقد هؤلاء وأمثالهم، ويوكل بهم من يتفقدهم. ولا أظن أن حكومة من الحكومات الحديثة بلغ فيها التشريع العمالي، والتأمين الاجتماعي من النضوج والوعي للمسؤولية الاجتماعية إلى حد أن تؤلف هيئة تبحث عن ذوي الحاجة والفاقة فترفع حاجتهم بأموال الدولة، كما نرى ذلك في عهد الامام ولا أظن أن قلوب المشرعين وعقولهم اجتمعت على أن تخرج للدنيا تشريعا عماليا فأفلحت في أن تخرجه أنبض من تشريع الامام بالشعور الانساني العميق"[٣٨] .

ونشير إلى نقطة في غاية الأهمية في هذا الصدد إن كلمة (أَهْلَ الْيُتْمِ) هل تعني اليتيم بمفرده ؟ أم يرتبط أهله معه ؟ فالنص الذي أمامنا يحمل معنيين من التفسير :

أولاً : أن تعبير الأهل بمعنى مجموع الأيتام أنفسهم ، وجمعهم بكلمة الأهل دلالة على كثرتهم و تخصيصهم دون غيرهم ، فمسؤولية التعهد تكون ضامنة لليتيم دون أهله حسب فهم هذا المعنى.

ثانياً : المقصود هو اليتيم وأهله الذين يعيشون معه ، فلا تقتصر صورة التعهد والتكفل باليتيم فقط بل تتسع دائرة التكفّل لتشمل أهله والمتكفلين برعايته كونهم الحاضنة الاجتماعية التي يتربى ويتغذى فيها اليتيم ، لأن التقصير في مراعاة تلك الحاضنة سينعكس سلباً على رعاية اليتيم ، ويبدو إن هذا التفسير هو الأقرب لأن الإمام علي (عليه السلام) بحركته الإصلاحية الشاملة التي تعالج كل مفاصل الدولة والمجتمع يكون ناظراً للمصلحة العليا التي تحقق النجاح للجانب الذي يتعاهده بالإصلاح ، ولما كان التقصير بحق أهل اليتيم يمس اليتيم نفسه فيكون من الضروري شمول العناية لأهله كجزء مهم من المشاركة التعهدية في رعاية اليتيم وكفالته .

ثالثاً : التحذير من ظلم اليتيم والتقصير في حقوقه

التشديد والتحذير من ظلم اليتيم نجده واضحاً في أدبيات الإمام علي (عليه السلام) فلم يُركّز على جانب الترغيب ويترك جانب الترهيب ، لأن أغلب المسائل إذا لم يكن فيها جانب ترهيب وتخويف نجد هناك تمادي وتساهل من قبل بني البشر ، وهذا المنهج الذي ينتهجه الإمام علي (عليه السلام) هو مساير ومتوافق مع المنهج القرآني الذي يتخذ في بعض آياته ترهيباً واضحاً كوسيلة رادعة لتنبيه الناس وتحذيرهم ، ولما كان اليتيم ضعيفاً غير قادرٍ على دفع الظلم عن نفسه كان الإمام علي (عليه السلام) قد أدلى بدلوه في وضع العلاجات الناجعة خشية وقوع الظلم على اليتيم ، إذ قال (عليه السلام) "ظلم اليتامى والأيامى ينزل النقم، ويسلب النعم أهلها"[٣٩] ، هناك دلالات واضحة للتحذير وبيان العاقبة لمن يظلم اليتيم فمن جانب أن هذا الظلم يكون مدعاة لإنزال النقم على الظالم ، وأن وجدت نعمة عنده فمصيرها الضياع لارتباطها الوثيق بظلم اليتيم ، والعكس بالعكس ، وفي السياق نفسه نجد الإمام علي (عليه السلام) قد أكد ذلك بقوله " من ظلم يتيماً عقّ أولاده "[٤٠] ، نجد في هذا القول ربط تحذيري بين من ظلم يتيم وبين عقوق الأولاد ، فالإمام علي (عليه السلام) جعل اليتيم بمنزلة الأبن للشخص وربط مصيره بمصير أولاد ذلك الشخص وما يترتب عليه من آثار سينعكس على أولاده مما يشير إلى تكثيف البُعد التحذيري وضرورة المراعاة القصوى لليتيم وعدم التفكير بظلمه ، ويزداد الأمر بصورة أشد وأعظم عندما ينصّ الإمام علي (عليه السلام) بالقول"من أكل من مال اليتيم درهماً واحداً ظلماً من غير حقّ خلّده الله في النار" [٤١] ، وهذا القول الأخير من أخطر الأقوال إذ إنّ المقدار القليل الذي ربما لا ينتبه له الناس وهو درهماً واحداً من مختصات اليتيم تجعل من يتعدى عليه مصيره الخلود في النار ، ونفهم من ذلك إن هنالك خطوط حمراء لا ينبغي تجاوزها في التعامل مع اليتيم ، ومن يتجاوزها يكون مآله وعاقبته لا تحمد

عقباها، وفي قول آخر للإمام علي (عليه السلام) مُحذّراً فيه من عاقبة أكل مال اليتيم ومُقبّحاً لمن يتجه بهذا الاتجاه ، إذ قال (عليه السلام) " بئس الوزر اكل مال اليتيم"(٤٢) ، وقال (عليه السلام) " بئس القوت اكل مال اليتيم"(٤٣) .

رابعاً : الترغيب في مراعاة الأيتام

كما أكد الإمام علي (عليه السلام) على أسلوب الترهيب والوعيد لمن يتعدى حدوده في ظلم اليتيم ، نجده (عليه السلام) يضع في الكفة الثانية لميزان التعامل مع اليتيم أسلوب الترغيب الممزوج ببيان الأثر الإيجابي الدنيوي والأخروي لذلك التعامل ، فمن دراسة أقوال الإمام علي (عليه السلام) التي تختص بهذه القضية نجد هذا الأسلوب واضحاً في أقواله الشريفة ومنها " كافل اليتيم و المسكين عند الله من المكرمين "(٤٤) وأي صفة ينالها الكافل بعد أن وصفه وصنفه الإمام علي (عليه السلام) من المكرمين ، فمثل هذه الأقوال تشكّل دافعاً معنوياً لرعاية الأيتام وكفالتهم بالصورة التي ترسمها الشريعة الحقّة ، وفي سياق مسانخ للدفع المعنوي قال الإمام علي (عليه السلام) " من رعى الأيتام رعي في بنيه "(٤٥) ، وهنا يجب الالتفات إلى نقطة هامة وهي إنَّ الإمام علي (عليه السلام) قد قابل ووزان بين صورتين (السلبية والإيجابية) ووضع لكل منهما النتائج والآثار المترتبة عليهما ، ففي حقل التحذير والوعيد جعل الإمام علي (عليه السلام) عاقبة من ظلم اليتيم بأنه " عقّ أولاده " ، أما في حقل الترغيب وبيان الأثر الحسن تكون النتيجة تتماثل طردياً مع الموقف فكانت المعادلة (رعاية الأيتام / رعاية ابنائه) فالأثر الإيجابي ينعكس على أولاد الذي يهتم ويرعى ويكفل الأيتام ، وفي قول آخر للإمام علي (عليه السلام) وهو يروي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ﴿ "من عال يتيماً حتّى يستغني، أوجب الله عزّ وجلّ له بذلك الجنّة كما أوجب لآكل مال اليتيم النار"(٤٦) ، يقرر الإمام علي (عليه السلام) هنا نتيجتين لعملين مختلفين يترتب عليهما أثرين عظيمين ، ولا شك إن (الجنة والنار) هما نتائج للفعل البشري في الحياة الدنيا ، والجنة هي المسعى والمبغى الذي ينشده الإنسان ، ولما كانت كذلك جعل الإمام علي (عليه السلام) وجوب الجنة حقاً على الله (عز وجل) لمن يرعى ويُعيل اليتيم حتى التمكين ، وإيصاله إلى مرحلة عمرية تمكنه من الاعتماد على نفسه أو التزامه حتى بعد بلوغه ، فكثير من الأيتام يبلغون الرشد لكنهم لا يمتلكون مقومات الحياة التي تكفل لهم العيش الكريم هنا يأتي دور المُعيل له والآخذ بيده للتمكن المادي وعدم شعوره بالحاجة ، ولهذا السبب جُعلت الجنة استحقاقاً لمن سار في هذا الاتجاه ، في قبال ذلك جعل النار مصيراً محتوماً لمن تعدى على حقوق اليتيم وأكل ماله ظلماً .

المُتأمل في هذه الأقوال يجد أن الثمن والمكافأة الكبيرة وهي الجنة لقاء عمل وخدمة أو موقف يُقدّم لليتيم له دلالة لا يمكن أن تُحقّل ضمن إطار الاعتباط أو غير القصدية ، إذ إن الرسالة المتوخاة من ذلك إن صغريات الأمور بحق اليتيم إذا كانت تُوجب الجنة فما بالك بكُبريات المسائل ، لا سيما وإن الإمام علي (عليه السلام) قد بيّن ذلك في موضع آخر جاعلاً أعلى صور البر هي البر بالأيتام إذ قال (عليه السلام) " من أفضل البِرَّ بِرُّ الأيتام"[٤٧] ، كما تشير هذه الأقوال إلى بيان الأهمية والحساسية للتعامل مع اليتيم كمنهج تحذيري وترغيبي في آن واحد ، فالذي يتولى الرعاية والكفالة لليتيم يكون أثيراً . أي مُفضّلاً . عند الله (عز وجل) والذي يكون بهذا المقام فقد أفلح في مسعاه ، إذ قال الإمام علي (عليه السلام) " كافل اليتيم إثرُ عند الله"[٤٨] ، فمرتبة الأفضلية لا نتصورها بالمرتبة اليسيرة التي ينالها العبد عند الله (عز وجل) إلا عبر تقديم أعمال نوعية تجعل من الإنسان استثنائي فيما قدمه ، ومن هذه الأعمال هي كفالة اليتيم واحتوائه ورعايته في أموره وليس فقط التحنن عليه بل سد منافذ كل احتياجاته ، وتعويضه نفسياً عما فقده من حنان الأب وعطفه أي لا بد أن يكون هناك عطف روحي ممزوج بتكفل مادي ، إنّ اليتم يجعل الولد الصغير دون سند الأب، ودعمه، وحمايته، ممّا يدعو بعض الناس إلى استضعافه، وإذلاله، ليصبح مغلوبًا في أمره، لذا قال الله تعالى مواجهًا هؤلاء :"فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ"[٤٩] ، وبالأخص إذا علمنا إنّ معنى الغلبة هو " القهر الغلبة والتذليل معا ويستعمل في كل واحد منهما"[٥٠] ، وهناك أقوال أخرى للإمام علي (عليه السلام) في مجال الترغيب والتشجيع تدعو قارئها للتأمل العميق في مدى ما يتحصّل من أجر وثواب وجائزة لمن يتكفل ويأوي اليتيم في الآخرة " " من آوى اليتيم ورحم الضعيف وأدى أمانته، جعله الله في نوره الاعظم يوم القيامة"[٥١] ، وأيُّ مكافأة يحصل عليها الإنسان أكبر وأعظم من أن تشمله الرحمة الإلهية ويُجعل في نوره الأعظم ، وفي السياق نفسه يقول أمير المؤمنين "ما من مؤمن ولا مؤمنة يضع يده على راس يتيم ترحما له الا كتب الله له بكل شعره مرت يده عليها حسنة"[٥٢] .

وبلحاظ ما ذُكر من أقوال نستطيع القول إن الإمام علي (عليه السلام) كان يسعى إلى اختيار النوعيات التي تتكفّل بالأيتام ممن تفيض الرحمة في قلوبهم وممن عرفوا بالشفقة وعيونهم مملوءة بالرحمة والتحنن والعطف لأن اليتيم هو وديعة إنسانية عند بني البشر ، وهذه الوديعة بحاجة ماسة إلى الحماية والرعاية والتعامل بلطف ورِقّة ، وأن يكون الكافل لليتيم مظلة رحيمة يستظل تحتها اليتيم لتوفير الأمن الاجتماعي المطلوب ، وكان الإمام علي (عليه السلام) يهدف إلى صياغة أبعاد هامة في المجال الإنساني لتكوين وإخراج نماذج مُثلى في التعامل الاجتماعي والرعاية الاجتماعية لترميم ما حل باليتيم من

تصدعات نفسية جراء عوامل مختلفة ألمّت به ، لا سيما وأن هذه التجربة الاجتماعية قد استوحت برامجها ومفرداتها من الشريعة السمحاء بوصفها الإطار المرجعي الذي يستند عليه الفرد في التعامل مع اليتيم ، فيكون المتولي لليتيم بمثابة البديل للإنهيار الأُسري الذي كان يأويه ويحميه ويتكفّله قبل ذلك.

خامساً : المنهج التربوي للأيتام

وضع الإمام علي (عليه السلام) منهجاً تربوياً واضحاً في إمكانية التقويم السلوكي لليتيم ، وعدم إطلاق العنان له بشكل تام يوحي له بأن في فضاء مفتوح غير مُقيّد ، لأن الحرية التامة تؤدي إلى نتائج عكسية غير مقبولة ، ولأن اليتيم عندما يرى كل تلك الرعايا والاهتمام والحنان والعطف قد يتصور من خلال صغر عمره أو قلّة تجربته في الحياة بأنه خارج نطاق الضوابط السلوكية ، لذا استوجب وضع جملة محددات وضوابط يراها المتكفل له تدخل ضمن مصلحته وليس ضرره ، فالإسلام يريد إنساناً سوياً غير منحرفاً يستجيب لفعل الخير ، وفي هذا الصدد وضع الإمام علي (عليه السلام) منهاجاً لمن يتكفل اليتيم في بيان الصورة التي يجب أن يتبعها في تربيته إذ قال الإمام علي (عليه السلام) " أدب اليتيم بما تؤدب منه ولدك وأضربه مما تضرب منه ولدك" [٥٣] ، فالإمام علي (عليه السلام) جعل اليتيم عند الذي يتكفله بمنزلة أولاده أولاً وما يجري عليهم يجري عليه ثانياً ، فالمنهج التربوي يقتضي التلازم بين تأديب الأولاد واليتيم على حد سواء بل ويصل إلى حد الضرب . غير المُبرح طبعاً . لأن طبيعة هذا التأديب والضرب ليس انتقامي بقدر ما هو إصلاحي وقائي ، وهناك درس أخلاقي يجب الالتفات إليه وهو إن التلازم بين أولاد المتكفل واليتيم من ناحية التأديب والضرب هو لعدم إحداث فجوة بينهما فالذي يعاقب جهة دون أخرى تكون حالة من التمايز والتفضيل تسبب حالة احتقان وتشنج فيما بينهم مما ينعكس بالسلب على طبيعة العلاقة الاجتماعية .

المبحث الرابع

الإمام علي(عليه السلام) والأيتام ، مواقف سلوكية

غالباً ما تكون التنظيرات النصّية غير كاشفة عن حقيقة عملية لأنها تبقى تدور في فلك نظري ، والمخيّلة العقلية ترتسم فيها صورة ذهنية يكون فيها البُعد العملي غير حاضر ، وعدم حضوره يمثل قص للحقيقة واغماض لعينها ، والسبيل الأمثل لصورة التقييم الحقيقي تتمثل في استنزال تلك التنظيرات للواقع التطبيقي ليكتمل الجانب الثاني لصورة الحقيقة وتلتئم اطرافها ، فالأسلوب تقييمي يُمكّن الآخر من وضع بصمة الحكم بجانبيه (الإيجابي والسلبي) في خانة الواقع بعد أن كان في محصوراً في دائرة التنظير ، ونريد أن نضع المدار السلوكي للتعامل مع اليتيم من قِبل أمير المؤمنين (عليه السلام) فهذه المواقف كاشفة عن طبيعة العلاقة بين الطرفين ، ولنا أن نشير إلى قصص ومواقف سلوكية للإمام علي (عليه السلام) مع الأيتام على سبيل المثال لا الحصر ، إذ لا يمكن الإحاطة بكل المواقف التي جرت وإنما نقتصر على مصاديق ومنها :

أولاً : المصلحة العليا والمشاركة الشخصية

رويَّ إنّه " نظر علي (عليه السلام) إلى امرأة على كتفها قربة ماء فأخذ منها القربة فحملها الى موضعها وسألها عن حالها فقالت: بعث علي بن أبي طالب صاحبي الى بعض الثغور فقتل وترك علي صبيانا يتامى وليس عندي شيء فقد ألجأتني الضرورة الى خدمة الناس فانصرف وبات ليلته قلقا، فلما أصبح حمل زنبيلا فيه طعام فقال بعضهم: اعطني أحمله عنك، فقال: من يحمل وزري عني يوم القيامة، فأتى وقرع الباب فقالت من هذا ؟ قال أنا ذلك العبد الذي حمل معك القربة فافتحي فان معي شيئا للصبيان فقالت: رضى الله عنك وحكم بيني وبين علي بن أبي طالب، فدخل وقال: اني أحببت اكتساب الثواب فاختاري بين أن تعجنين وتخبزين وبين أن تعللين الصبيان لأخبز أنا، فقالت أنا بالخبز أبصر وعليه أقدر ولكن شأنك والصبيان فعللهم حتى أفرغ من الخبز، فعمدت الى الدقيق فعجنته وعمد علي الى اللحم فطبخه وجعل يلقم الصبيان من اللحم والتمر وغيره فكلما ناول الصبيان من ذلك شيئا قال له: يا بني اجعل علي بن أبي طالب في حل مما مر في امرك ، فلما اختمر العجين قالت: يا عبد الله سجر التنور، فبادر لسجره فلما أشعله ولفح في وجهه جعل يقول: ذق يا علي هذا جزاء من ضيع الارامل واليتامى، فرأته امرأة تعرفه فقالت ويحك هذا أمير المؤمنين، قال

فبادرت المرأة وهي تقول واحياي منك يا أمير المؤمنين فقال بل واحياي منك يا أمة الله فيما قصرت في امرك"(٥٤) ، يتبين من هذه الحادثة عظم الرحمة والرأفة وتقبل نقد الآخرين بالرغم من إن إرسال زوجها كان بأمر إمام معصوم وذهب شهيداً إلا إن الإمام علي (عليه السلام) لم يدخل معها في جدال وإنما استوعب كلامها لأنه كان ناظراً لمصلحة عليا وهي رعاية الأيتام كونه المسؤول الأول عنهم ، بل لم يكتفِ الإمام (عليه السلام) بذلك وإنما شارك المرأة في عمل الخبز للأيتام ليرسل رسالة للعالم على تواضعه ومسؤوليته المُلقاة على عاتقه وعاتق كل من يتصدى لهكذا مسؤوليات ، وجعل المرأة تستشعر عظم خطأها بنفسها لتعلن ذلك ، فالإمام (عليه السلام) وضع مسألة رعاية الأيتام والاهتمام بهم وإطعامهم من يده الشريفة فوق كل اعتبار وكل كلام يُقال ضده .

ثانياً : الإيثار والكرم وتحمل المسؤوليات

روى إنّه (عليه السلام) اجتاز ليلة على امرأة مسكينة لها اطفال صغار يبكون من الجوع وهي تشاغلهم وتلهيهم حتى يناموا وكانت قد اشعلت نارا تحت قدر فيها ماء لا غير واوهمتهم ان فيها طعاما تطبخه لهم فعرف أمير المؤمنين (عليه السلام) حالها فمشى ومعه قنبر إلى منزله فاخرج قوصرة تمر وجراب دقيق وشيئا من الشحم والارز والخبز وحمله على كتفه الشريف فطلب قنبر حمله فلم يفعل فلما وصل إلى باب المرأة استأذن عليها فأذنت له في الدخول فرمى شيئاً من الارز في القدر ومعه شيء من الشحم فلما فرغ من نضجه غرف للصغار وامرهم بأكله ، فلما شبعوا اخذ يطوف في البيت ويبعبع لهم فاخذوا في الضحك. فلما خرج (عليه السلام) قال له قنبر: يا مولاي رأيت الليلة شيئا عجيبا قد علمت سبب بعضه وهو حملك الزاد طلباً للثواب أما طوافك في البيت على يديك ورجليك والبعبعة فما ادرى سبب ذلك. فقال (عليه السلام) : يا قنبر إني دخلت على هؤلاء الاطفال وهم يبكون من شدة الجوع فأحببت أن اخرج عنهم وهم يضحكون مع الشبع فلم اجد سببا سوى ما فعلت"(٥٥) .

نجد في هذه القصة دلالات عميقة منها ، لم يقدر الإمام علي (عليه السلام) أن يكمل مسيره عند سماعه بكاء الأطفال الأيتام وإنما رجع إلى بيته مع خادمه لجلب غذاء لهم ، وهنا نؤشر لمسألة مهمة فبالرغم من إن الإمام علي (عليه السلام) خليفة المسلمين وبوسعه أخذ الغذاء لهم من بيت المال وما يوجد فيه من مواد عينية إلا إنّه (عليه السلام) ضرب أروع مثال في الإيثار والكرم وتحمل المسؤوليات عندما أخذ ذلك من بيته كما تشير الرواية لذلك ، وحمل الإمام علي (عليه السلام) تلك المواد بيده ورفضه لحمل قنبر لها فيها رسالة رائعة بأن من يتصدى للحكم يجب عليه تفقد الناس وحمل حاجاتهم بيده ليكون منهم ، وقريباً

عليهم ، وليستشعروا عطفه وحنانه عليهم كما تُعدّ أسلوب تربوي في تواضع الحاكم ، ولم يقتصر الإمام (عليه السلام) على الغذاء بل عمدَ إلى أسلوب التشويق وتغيير الجانب النفسي من خلال اللعب مع الصغار لتطييب نفوسهم وعدم إشعارهم بالجو الحزين الذي تعودوا عليه .

ثالثاً : أبوّة الحاكم

رويَّ إنّه " جاء إلى أمير المؤمنين (عليه السلام) عسل وتين من همدان وحلوان[٥٦] فأمر العرفاء أن يأتوا باليتامى، فأمكنهم من رؤوس الازقاق يلعقونها وهو يقسمها للناس قدحا، قدحا، فقيل له: يا أمير المؤمنين ما لهم يلعقونها؟ فقال: إن الإمام أبو اليتامى وإنما ألعقهم هذا برعاية الآباء" [٥٧].

هناك نقاط عدّة تُسجّل في هذه الرواية منها ، إن الإمام علي (عليه السلام) بمجرد وصول عسل وتين له أمر أن يأتوا باليتامى وكأنها رسالة مباشرة في وضعهم في مقدمة جدول الاهتمامات والرعاية ، ثم إن دعوة الإمام علي (عليه السلام) للأيتام وهو خليفة تحمل في طياتها دلالة هامة ودرس أخلاقي في وجوب عدم نسيان الحاكم لهؤلاء الأيتام مع انشغاله بأمور الدولة ، وبلحاظ الكلمة الأخيرة في الرواية (الإمام أبو اليتامى) جعل فيها (عليه السلام) الحاكم هو الراعي والمتكفّل لهم كأبيهم الذي فقدوه فضلاً عن مراعاة الجانب النفسي وتمكينه من عبور تلك الأزمات الناتج من فقدان الأب ، وهذا ما أكد عليه (عليه السلام) في الأخير بالقول (هذا برعاية الآباء) ليكون درساً للآخرين لا سيما مع مباشرة الإمام (عليه السلام) بلعقهِ العسل لهم بنفسه وهذا ما أثار تساؤل الآخرين في سبب توجه حاكم الدولة لهكذا سلوك مع الأيتام .

رابعاً : استرداد الحقوق

" ان غلاما طلب مال ابيه من عمر واذكر ان والده توفي بالكوفة والولد طفل بالمدينة فصاح عليه عمر وطرده فخرج يتظلم منه فلقيه علي (عليه السلام) وقال: ائتوني به إلى الجامع حتى اكشف امره، فجئ به فسأله عن حاله فأخبره بخبره فقال علي (عليه السلام): لأحكمن فيكم بحكومة حكم الله بها من فوق سبع سماء وانه لا يحكم بها إلا من ارتضاه لعلمه، ثم استدعى بعض اصحابه وقال هات محفرة ثم قال: سيروا بنا إلى قبر والد الصبي، فساروا فقال: احفروا هذا القبر وانبشوه واستخرجوا لي ضلعا من اضلاعه، فدفعه إلى الغلام فقال له: شمه. فلما شمه انبعث الدم من منخريه فقال (عليه السلام) : انه ولده، فقال عمر: بانبعاث الدم تسلم إليه المال ! فقال: انه أحق بالمال منك ومن ساير الخلق اجمعين، ثم أمر الحاضرين بشم الضلع فشموه فلم ينبعث الدم من واحد منهم فأمر ان اعيد إليه ثانية وقال شمه

فلما شمه انبعث الدم انبعاثا كثيرا فقال (عليه السلام): انه ابوه، فسلم إليه المال ثم قال: والله ما كذبت ولا كذبت"[٥٨] .

بلحاظ الرواية هذه سجّل الإمام علي (عليه السلام) أروع دروس استرداد الحق لمن لا يمتلك مُعين وناصر ألا وهم الأيتام لا سيما وإن ظلمهم في حقهم كان من مؤسسة الدولة الحاكمة المتمثلة بعمر بن الخطاب فانبرى الإمام علي (عليه السلام) لذلك بالرغم من عدم امتلاكه سلطة القرار إلا إن هناك درس كان يبغيه الإمام علي (عليه السلام) في عدم السكوت على حق الأيتام تحت أي ظرف كان ومهما كانت النتائج حتى لو لم تكن في الموقع المسؤولية الحاكمية إنّما هناك مسؤولية شرعية وأخلاقية ينبغي الالتفات لها في عدم تضييع حقوقهم فالسالب والمُضيّع والساكت عن حقوقهم سواء في فكر الإمام علي (عليه السلام) ، ولم يكتفِ الإمام (عليه السلام) بتبيان الحقوق بل أكمل ذلك للأخير في تسليم المال وإرجاعه له بحضوره لأن من الممكن للحقوق أن تتبين وتتضح لكنها تبقى حبيسة عدم التطبيق وفي هذا درس للآخرين في إكمال متطلبات واحتياجات الأيتام للأخير ومهما كانت صعوبة وحراجة المواقف فالناظر للرواية أن الإمام علي (عليه السلام) اضطر لحفر قبر والد اليتيم لبيان حقه .

ولطالماً يتساءل البعض عن سبب حب الأيتام للإمام علي (عليه السلام) إلى درجة بمجرد سماعهم إن الطبيب أمر باللبن للإمام علي (عليه السلام) في جرحه الذي استشهد منه تجمهر الأيتام على باب الإمام (عليه السلام) حاملين معهم اللبن ، فهذه صور اخرى جسدها ضمير الايتام في حبهم للإمام (عليه السلام) عندما قصدوا دار الامام علي (عليه السلام) يحملون معهم اللبن بعد ان سمعوا أن أبي الايتام قد تجرع السم وان لا دواء له سوى اللبن فهرعوا مسرعين تتلهف قلوبهم لسقيه، ولا يمكن ترك هذه المواقف دون دراسة وتحليل و بحاجة إلى وقفة تأمل اذ لم تذكر لنا كتب التاريخ ان هناك من قام بجمع الاطفال أو أن هنالك شخص قام بتزويدهم باللبن أو ان هناك جهات دفعتهم للوقوف والتجمهر عند دار الامام علي (عليه السلام)، وهنالك صورة اخرى مغايرة للواقع فقد اعتدنا أن الايتام عادة يقصدون من يقوم برعايتهم ليمنحهم رغيف خبز او يكسوهم بلباس او يطعمهم او يسقيهم او غير ذلك لكن نرى هنا أن الايتام الذين قصدوا دار الإمام (عليه السلام) كانوا يحملون معهم اللبن يريدون ان يسقوه بها فهذه الصورة غير مألوفة تبحث عن إجابات مُلحّة ، الأمر الذي يجعلنا بحاجة الى دراسة لمعرفة الدافع الذي دفع هؤلاء الايتام لحمل اللبن هل كان من وَرَاءَهُ العوز المادي؟ أي أرادوا بيع اللبن ليتكسبوا مالاً منه ، ام امر آخر وبحقيقة الحال ان الاطفال لم يكن همهم المال بقدر ما كان يهمهم بقاء الامام علي (عليه السلام) على

قيد الحياة ومن هنا فإننا نلتمس بان الامام علي (عليه السلام) لم يكتفِ بمنح الايتام الأموال فحسب بل كان يمنحهم الحنان الذي فقدوه ويمنحهم العطف الذي يستحقوه وهو الأهم في تعويض الجوانب النفسية التي مسّها النقص نتيجة فقدانهم للأب ، فكان لهم الأب الحنون الذي وجدوا فيه كهف الحماية ورحيله معناه رحيل الأب الثاني ودخولهم في اليتم الحقيقي ، فلو لم يكن هناك استشعار واهتمام ورعاية غير مصطنعة من الإمام(عليه السلام) تجاه الأيتام لما قاموا بهذا الفعل فالقلوب لمن تحب أميل .

الخاتمة

في ختام البحث لابد لنا من تسجيل ما تبلور بين أيدينا من نقاط تُعدُّ جديرة بالاهتمام يتوجب الإشارة إليها وهي كالآتي :

أولاً : وردت عدّة تعريفات لليتيم وخصوصاً في حقل المجال اللغوي ، إلا إن الجانب الاصطلاحي يكاد يكون مُتفق عليه بأنه " الصغير الذي فقد أباه وهو ما يزال دون سن البلوغ والحلم" ، وتنتهي فترة اليُتم بعد البلوغ طبقاً لما جاء في قول الرسول الأكرم ﴿ صلى الله عليه وآله وسلم ﴾ "لا يُتْم بعد الحلم" .

ثانياً : تعدد أصل معنى اليتيم إلى خمس أنواع منها " الانفراد ، الغفلة ، الإبطاء ، الضعف والتقصير ، الهمَّ " ، وأشرنا إلى مفهوم كل أصل ومقاصده ، كما تعددت نعوت اليتيم وهي " اليتيم ، يُطلق على من فقد أباه دون سن البلوغ ، واللطيم من فقد أبويه . الأب والأم . معاً ، أما العَجِيُّ فهو الذي ماتت أمه فقط ، وهناك من يسميه بالمنقطع".

ثالثاً : وردت لفظة اليتيم في القرآن الكريم ثلاث وعشرون مرة ، إذ وردت كلمة اليتيم بصيغة المفرد ثماني مرات ، أما بصيغة التثنية فجاءت مرة واحدة ، أما بصيغة الجمع فجاءت أربع عشرة مرة ، مع تنوع التقسيمات التي عالجتها الآيات القرآنية لكن ما يُلاحظ بقراءة دقيقة للآيات كان لمسألة حماية أموال اليتيم حضور كمّي أكبر من غيرها فضلاً عن الرعاية والاهتمام به إلى درجة إن هناك بعض الآيات تصور مشهداً مرعباً لمن يأكل مال اليتيم ، ثم إن هذا التعدد الكمي مع التقسيم النوعي يُشير إلى دلالة هامة وهي ضرورة ووجوب التركيز والحذر في مسألة اليتيم وما يتعلق بحقوقه ، وجمعت الآيات القرآنية بين طياتها درساً كاملاً لكل ما يحتاجه اليتيم في الحياة الاجتماعية ، فهذه المساحة الواسعة التي أعطاها القرآن الكريم لليتيم لم تكن اعتباطاً بل تحمل رسالة للآخرين ذات مغزى تربوي وأخلاقي.

رابعاً : كان للإمام علي (عليه السلام) البصمة الواضحة في معالجة ورعاية وتبيان الحقوق الخاصة بالأيتام من خلال جملة من الأحاديث التي ذكرناها في ثنايا البحث سواءً على المستوى الذاتي أو المستوى الجماعي في تحمل المسؤوليات المُلقاة على عاتقهم تجاه هذه الشريحة المهمة في المجتمع.

خامساً : اهتم الإمام علي (عليه السلام) بالتغذية الروحية لليتيم إلى جانب التغذية المادية له ، بمعنى إن كلا الأمرين جعلهما يسيران في طريق متوازي فلا تركيز على جانب وإهمال آخر لأن الإهمال بإحدهما يؤدي إلى خلل في معادلة التعامل مع اليتيم الذي سينعكس سلباً عليه.

سادساً : لم يغفل الإمام علي (عليه السلام) دعم الجانب النفسي وتنميته لليتيم لا سيما مع تأثره نتيجة فقدان والده الذي كان يشكّل الكافل والراعي له ، فكان الإمام علي (عليه السلام) المظلة التي يستظل تحتها الأيتام والتي تعوضهم فقدان الأب ، لأن الضرر النفسي لليتيم ينعكس سلباً على مواقفه السلوكية فتشكّل أرضية خصبة للانحراف وتكوين شخصية غير سوية تؤدي إلى ضياعهم ، وعمل (عليه السلام) أيضاً على إشراكهم في المجتمع وأخذ الدور الذي يليق بهم وعدم عزلهم وتحييدهم في الفعاليات الاجتماعية لأن الشعور بالوحدة والانعزال يجعل اليتيم ينظر لنفسه شخصاً هامشياً ثانوياً في المجتمع مما يفقده بالتالي طاقاته الابداعية وثقته بنفسه.

سابعاً : تعددت صور الدعم والتوجيه والمواقف للإمام علي (عليه السلام) تجاه الأيتام ومنها " الرعاية والاهتمام ، التعهد والتكفل ، التحذير من ظلم اليتيم والتقصير في حقوقه ، الترغيب في مراعاة الأيتام والمنهج التربوي للأيتام" ولكل صورة لهذه المواقف جعل الإمام علي (عليه السلام) منهجاً قويماً يمثل خارطة طريق للآخرين في أسلوب التعامل الأمثل ، وهذه المناهج كانت قد بينها الإمام علي (عليه السلام) في مجالات متعددة منها في خطبه أو رسائله إلى عماله ووصاياه وغيرها موازناً فيها بين الجانب الترغيب والتشجيع وبين التحذير والتشديد .

ثامنا : كان تركيز الإمام علي (عليه السلام) في مسألة الاهتمام والرعاية لم يقتصر على جانب دون آخر إنما وضع تلك المسؤوليات على الحاكم وجهاز الدولة ومؤسساتها المختلفة إلى جانب المجتمع وتعزيز دوره في عدم نسيان الأيتام وإهمالهم وتضييعهم ، فالدولة والمجتمع جعلهما الإمام علي (عليه السلام) يتسابقان في تقديم الرعاية لليتيم وتلبية احتياجاته وجعلها أيضاً جزءً هاماً من الحركة الإصلاحية الشاملة .

تاسعاً : لم يكتفِ الإمام علي (عليه السلام) بالمستوى التنظيري القولي بل نقله إلى الميدان التطبيقي العملي ليكون حجة على الآخرين وأكثر إلزاماً ، لأن مباشرة الحاكم هذا الفعل بنفسه يحمل دلالات هامة منها تواضعه وبيان مسؤولية الدولة ودعم نفسي مباشر للأيتام وعدم إشعارهم بنقص الفقدان للأب فوجدنا الإمام (عليه السلام) يعمل لهم الخبز ويلعب معهم يقضي حوائجهم بنفسه لتكون رسالة مباشرة لعماله وللمجتمع ككل في ضرورة النزول والبحث عن الأيتام ومراعاتهم بالشكل الذي يليق بهم ، فبين الإمام علي (عليه السلام) مفهوم أبوّة الحاكم وعطفه وحنانه عليهم من خلال واقع عملي بل جعل من نفسه منتصفاً لهم عندما تعرضت حقوقهم للتضييع أو الاستيلاء غير المشروع فتراه يباشر بنفسه بالمطالبة باسترداد حقوقهم ليكون عبرة ودرس ليس على المستوى الآني بل المستقبلي فكان بحق أن يُطلق عليه (عليه السلام) (أبا الأيتام).

الهوامش

(١) عون ، د. نسيم ، الألسنية محاضرات في علم الدلالة ، ط١ ، دار الفارابي بيروت ٢٠٠٥، ١٤٧.

(٢) الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد ، تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، الطبعة : الأولى دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م ، ١٤ / ٢٤١.

(٣) الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر ت٧٢١هـ ، مختار الصحاح ، تحقيق : محمود خاطر، دار النشر : مكتبة لبنان ناشرون – بيروت – ١٤١٥ – ١٩٩٥ ، ١ / ٣٠٩ .

(٤) ابن منظور ، محمد بن مكرم ت٧١١هـ ، لسان العرب ، الطبعة : الأولى دار النشر : دار صادر – بيروت (د. ت) ، ١٢ / ٦٤٥ .

(٥) ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن ت٣٢١هـ ، جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، الطبعة : الأولى الناشر: دار العلم للملايين – بيروت ١٩٨٧م ، ١ / ٤١١ .

(٦) الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ت ٥٠٢هـ ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد سيد كيلاني دار النشر : دار المعرفة – لبنان (د. ت) ، ١ / ٥٥٠.

(٧) الرازي ، مختار الصحاح ، ١ / ٣٠٩ .

(٨) المناوي محمد عبد الرؤوف ت ١٠٣١ هـ ، التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، الطبعة : الأولى دار النشر : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق – ١٤١٠ ، ١ / ٧٤٨ .

(٩) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٢ / ٦٤٥ مادة (يتم).

(١٠) ابن الأثير الجزري ، أبو السعادات المبارك بن محمد ت٦٠٦هـ ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، دار النشر : المكتبة العلمية – بيروت – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م ، ٥ / ٢٩١ .

(١١) ابن دريد، جمهرة اللغة، ١ / ٤١١ ؛ الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ١ / مادة (يتم) ٥٥٠.

(١٢) ابن منظور ، لسان العرب ، ١٢ / ٦٤٥ مادة (يتم) .

(١٣) الأزهري ، تهذيب اللغة ، ١٤ / ٢٤٢.

(١٤) ابن الأثير الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ٥ / ٢٩١.

(١٥) الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب ت٨١٧ هـ ، القاموس المحيط، ٨١٧ ، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت (د. ت) ، ١ / ١٥١٣ .

(١٦) الفيروزآبادي القاموس المحيط ، ١ / ١٥١٣ .

(١٧) ابن سيده ، أبي الحسن علي بن إسماعيل ت ٤٥٨هـ ، المخصص ، تحقيق : خليل إبراهم جفال ، الطبعة : الأولى ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – ١٤١٧هـ ١٩٩٦م ، ١ / ٥٣ .

(١٨) لسان العرب ، ١٢ / ٦٤٥ .

(١٩) ابو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ت٢٧٥هـ ، سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار النشر : دار الفكر (د. ت) ، ٣ / ١١٥.

(٢٠) الطوسي ، أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي ت٤٦٠ هـ ، المبسوط في فقه الإمامية ، صححه وعلق عليه السيد محمد تقي الكشفي ، الناشر : المكتبة المرتضوية ، ٢ / ٢٨١ ـ ٢٨٢.

(٢١) ابن الأثير الجزري ، النهاية في غريب الحديث والأثر ، ٥ / ٢٩١.

(٢٢) الأنعام (١٥٢) ، الإسراء (٣٤) ، الإنسان (٨) ، الفجر (١٧) ، البلد (١٥) ، الضحى (٦) ، (٩) ، الماعون (٢) .

(٢٣) الكهف (٨٢) .

(٢٤) البقرة (٨٣) ، البقرة (١٧٧) ، البقرة (٢١٥) ، البقرة (٢٢٠) ، النساء (٢) ، (٣) ، (٦) ، (٨) ، (١٠) ،(٣٦) ، (١٢٧) وردت مرتان في الآية نفسها ، الأنفال(٤١) ، الحشر(٧).

(٢٥) الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ت١٢٠٥هـ ، تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : مجموعة من المحققين دار النشر : دار الهداية (د. ت) ، ٢٠ / ٥٤٨.

(٢٦) الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٣٨ هـ ، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت (د. ت) ، ١ / ٥١٠.

(٢٧) د. عمار حكمت فرحان ، أموال اليتيم في القرآن الكريم دراسة موضوعية ، مجلة كلية الشريعة ، العدد الخامس ، ٥٤٤ . ٥٤٥ .

(٢٨) بحر العلوم ، عز الدين ، اليتيم في القرآن والسنة ، الطبعة الثانية ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت . لبنان (د. ت) ، ٢٣ .

(٢٩) محمد عبدة ، شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ط١ ، قم . إيران ١٤١٢هـ ، ٧٧.

(٣٠) حبيب الله الهاشمي ، مير ت ١٣٢٤هـ ، منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، الطبعة الثانية (د. ت) ٢٠ / ١٣١.

(٣١) حبيب الله الهاشمي ، منهاج البراعة ، ٢٠ / ١٣١.

(٣٢) الدخيل ، شرح نهج البلاغة ، ٣ / ٢٩.

(٣٣) ابن أبي الحديد المعتزلي ، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني ت٦٥٦هـ ، شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦٧م ، ١٧ / ٧.

(٣٤) ابو البركات الدمشقي ، محمد بن احمد ت٨٧١ هـ ، جواهر المطالب في مناقب الامام علي بن أبي طالب ، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي ، الطبعة: الاولى ، الناشر: مجمع إحياء الثقافة الاسلامية ، ايران – قم المقدسة ١٤١٦ هـ ، ٢ / ٩٣.

(٣٥) الخامنئي ، علي ، العودة الى نهج البلاغة ، ترجمة عباس نور الدين ، مركز بقية الله الاعظم ، بيروت ٢٠٠٠ ، ٢٠.

(٣٦) الرازي ، مختار الصحاح ، ١٩٢.

(٣٧) المجلسي ، محمد باقر ت ١١١١هـ ، بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، ط٢ ، مؤسسة الوفاء بيروت – لبنان ١٤٠٣ هـ ، ٣٣ / ٦٠٨ ؛ محمد عبدة ، شرح نهج البلاغة ، ٣ / ١٠٢.

(٣٨) شمس الدين ، محمد مهدي ، دراسات في نهج البلاغة ، الطبعة الثانية: دار الزهراء (ع) للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ١٣٩٢ هـ – ١٩٧٢ م ، ١٠٧.

(٣٩) الواسطي ، علي بن محمد الليثي ت القرن ٦ هج ، عيون الحكم والمواعظ ، تحقيق : الشيخ حسين الحسيني البيرجندي ، ط١ ، دار الحديث (د. ت) ، ٣٢٤ ؛ النجفي ، هادي ، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت . لبنان ٢٠٠٢م ، ١٢ ، ٢٩٨.

(٤٠) الطبرسي ، ميرزا حسين النوري ت١٣٢٠ هـ ، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ط٢ ، ١٩٨٨م ، ١٢ / ٩٩ ؛ البروجردي ، حسين بن السيد علي الطباطبائي

ت١٣٨٠هـ ، جامع أحاديث الشيعة ، الناشر : منشورات مدينة العلم ، قم ـ إيران ١٤٠٧هـ ، ١٣ / ٤١٨ ؛ النجفي ، موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) ، ١٢ ، ٢٩٨.

(٤١) ابن بابويه ، علي القمي ت٣٢٩هـ ، فقه الإمام الرضا (ع) ، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، ط١ ، قم المشرفة ١٤٠٦هـ ، ٣٢٢ .

(٤٢) الواسطي ، عيون الحكم والمواعظ ، ١٩٣ .

(٤٣) الآمدي ، عبد الواحد التميمي ت ق ٥ الهجري ، غرر الحكم ودُرر الكلم ، عُني بترتيبه الشيخ حسين الأعلمي ، ط١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ـ لبنان ٢٠٠٢ ، ٩٧.

(٤٤) الآمدي ، غرر الحكم ودُرر الكلم ، ٢٢٦.

(٤٥) الآمدي ، غرر الحكم ، ٣٢٢.

(٤٦) ابو جعفر الإسكافي ، محمد بن عبد الله ت٢٢٠هـ ، المعيار والموازنة ، في فضائل الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) وبيان افضليته على جميع العالمين بعد الانبياء والمرسلين ، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي ، ط١ ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١م، ٢٤٦؛ القاضي النعمان المغربي ، أبي حنيفة بن محمد التميمي ت٣٦٣ هـ ، شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، تحقيق : السيد محمد الحسيني الجلالي ، طبع ونشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة (د. ت) ، ٢ / ٤٤٨ ؛ الصدوق ، أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت٣٨١هـ ، من لا يحضره الفقيه ، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري ، ط٢ ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة ٤ / ١٩٠ ؛ الكليني ، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق ت٣٢٩هـ ، الفروع من الكافي ، صححه وقابله وعلق عليه على اكبر الغفاري ، ناشر: دار الكتب الاسلامية ، ٥ / ١٢٨ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ٤٢ / ٢٤٨ ؛ الأمين ، محسن ، أعيان الشيعة ، حققه وأخرجه حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات بيروت ، ١ / ٥٣٢ .

(٤٧) الآمدي ، غرر الحكم ، ٣٠٩.

(٤٨) الآمدي ، غرر الحكم ، ٢٢٦.

(٤٩) الضحى / ٩.

(٥٠) الراغب الأصفهاني ، المفردات في غريب القرآن ، ١ / ٤١٤.

(٥١) النوري الطبرسي ، مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، ١٤ / ٥.

(٥٢)الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت٣٨١هـ ، ثواب الاعمال ، ط٢ ، (قم ، منشورات الرضى، د. ت) ، ١٩٩.

(٥٣) الكليني ، الفروع من الكافي ، ٦ / ٤٧.

(٥٤) الحلي ، الحسن بن يوسف بن المطهر ت٧٢٦ هـ ، كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين ، تحقيق حسين الدرگاهي ابا محمد حسن حسين آبادي ، الطبعة الاولى ، إيران ـ طهران ١٤١١ هـ – ١٩٩١ م ، ١١٥ ـ ١١٦.

(٥٥) ابن شهر اشوب ، مشير الدين أبى عبد الله محمد بن علي ت٥٨٨ هـ ، مناقب آل أبى طالب ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٩٥٦ م ، ١ / ٣٨٢.

(٥٦) حلوان: وهي في آخر حدود السواد مما يلي الجبال في بغداد . ياقوت الحموي ، ابو عبد الله بن عبد الله ت٦٢٦هـ ، معجم البلدان ، دار النشر : دار الفكر – بيروت (د . ت) ، ٢ / ٢٩٠ .

(٥٧) الكافي ، الكليني ، ١ / ٤٠٦ ؛ المجلسي ، بحار الأنوار ، ٤١ / ١٢٣.

(٥٨) ابن شهر اشوب ، المناقب ، ٢ / ١٨١ . ١٨٢.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

. الآمدي ، عبد الواحد التميمي ت ق ٥ الهجري

١. غرر الحكم ودُرر الكلم ، عُني بترتيبه الشيخ حسين الأعلمي ، ط١ ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت . لبنان ٢٠٠٢ .

. ابن الأثير الجزري ، أبو السعادات المبارك بن محمد ت٦٠٦هـ

٢. النهاية في غريب الحديث والأثر ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى – محمود محمد الطناحي ، دار النشر : المكتبة العلمية – بيروت – ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م.

. الأزهري ، أبو منصور محمد بن أحمد ت ٣٧٠هـ

٣. تهذيب اللغة ، تحقيق : محمد عوض مرعب ، الطبعة : الأولى دار النشر : دار إحياء التراث العربي – بيروت – ٢٠٠١م .

. الأمين ، محسن

٤. أعيان الشيعة ، حققه وأخرجه حسن الأمين ، دار التعارف للمطبوعات ، بيروت(د. ت).

. ابن بابويه ، علي القمي

٥. فقه الإمام الرضا (ع) ، تحقيق: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث ، ط١ ، قم المشرفة ١٤٠٦هـ .

. بحر العلوم ، عز الدين

٦. اليتيم في القرآن والسنة ، الطبعة الثانية ، دار الزهراء للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت . لبنان (د. ت) .

. ابو البركات الدمشقي ، محمد بن احمد ت٨٧١ هـ

٧. جواهر المطالب في مناقب الامام علي بن أبي طالب ، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي ، الطبعة: الاولى ، الناشر: مجمع إحياء الثقافة الاسلامية ، ايران – قم المقدسة ١٤١٦ هـ .

. البروجردي ، حسين بن السيد علي الطباطبائي ت ت١٣٨٠هـ

٨. جامع أحاديث الشيعة ، الناشر : منشورات مدينة العلم ، قم . إيران ١٤٠٧هـ .

. ابو جعفر الإسكافي ، محمد بن عبد الله ت٢٢٠هـ

٩. المعيار والموازنة ، في فضائل الامام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (صلوات الله عليه) وبيان افضليته على جميع العالمين بعد الانبياء والمرسلين ، تحقيق: الشيخ محمد باقر المحمودي ، ط١ ١٤٠٢هـ . ١٩٨١م .

. حبيب الله الهاشمي ، مير ت ١٣٢٤هـ
١٠. منهاج البراعة في شرح نهج البلاغة ، الطبعة الثانية (د. ت) .
. ابن أبي الحديد المعتزلي ، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله المدائني ت٦٥٦هـ
١١. شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط٢، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي ، ١٩٦٧م .
. الحلي ، الحسن بن يوسف بن المطهر ت٧٢٦ هـ
١٢. كشف اليقين في فضائل أمير المؤمنين ، تحقيق حسين الدرگاهي ابا محمد حسن حسين آبادي ، الطبعة الاولى ، إيران . طهران ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م .
. الخامنئي ، علي
١٣. العودة الى نهج البلاغة ، ترجمة عباس نور الدين ، مركز بقية الله الاعظم ، بيروت ٢٠٠٠ .
. ابو داود ، سليمان بن الأشعث السجستاني ت٢٧٥هـ
١٤. سنن أبي داود ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار النشر : دار الفكر (د. ت).
. ابن دريد ، أبو بكر محمد بن الحسن ت٣٢١هـ
١٥. جمهرة اللغة ، تحقيق : رمزي منير بعلبكي ، الطبعة : الأولى الناشر: دار العلم للملايين - بيروت ١٩٨٧م.
. الراغب الأصفهاني ، أبو القاسم الحسين بن محمد ت ٥٠٢هـ
١٦. المفردات في غريب القرآن ، تحقيق : محمد سيد كيلاني دار النشر : دار المعرفة - لبنان (د. ت).
. الرازي ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر ت ٧٢١هـ
١٧. مختار الصحاح ، تحقيق : محمود خاطر، دار النشر : مكتبة لبنان ناشرون - بيروت - ١٤١٥ - ١٩٩٥.
. الزبيدي ، محمد مرتضى الحسيني ت١٢٠٥هـ
١٨. تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق : مجموعة من المحققين دار النشر : دار الهداية (د. ت) .
. الزمخشري ، أبو القاسم محمود بن عمر ت ٥٣٨ هـ
١٩. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت (د. ت) .
. ابن سيده ، أبي الحسن علي بن إسماعيل ت ٤٥٨هـ
٢٠. المخصص ، تحقيق : خليل إبراهم جفال ، الطبعة : الأولى ، دار النشر : دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٧هـ ١٩٩٦م .
. شمس الدين ، محمد مهدي
٢١. دراسات في نهج البلاغة ، الطبعة الثانية: دار الزهراء (ع) للطباعة والنشر والتوزيع بيروت - لبنان ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
. ابن شهر اشوب ، مشير الدين أبى عبد الله محمد بن علي ت٥٨٨ هـ
٢٢. مناقب آل أبى طالب ، المطبعة الحيدرية ، النجف ١٩٥٦ م .

. الصدوق ، محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي ت٣٨١هـ
٢٣. ثواب الاعمال ، ط٢ ، (قم ، منشورات الرضى، د. ت) .
٢٤ . من لا يحضره الفقيه ، صححه وعلق عليه علي أكبر الغفاري ، ط٢ ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة .
. الطبرسي ، ميرزا حسين النوري ت١٣٢٠ هـ
٢٥ . مستدرك الوسائل ومستنبط المسائل ، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث ، ط٢ ، ١٩٨٨م .
. الطوسي ، أبي جعفر محمد بن الحسن بن علي ت٤٦٠ هـ
٢٦. المبسوط في فقه الإمامية ، صححه وعلق عليه السيد محمد تقي الكشفي ، الناشر : المكتبة المرتضوية (د. ت) .
. د. عمار حكمت فرحان
٢٧. أموال اليتيم في القرآن الكريم دراسة موضوعية ، مجلة كلية الشريعة ، العدد الخامس (د. ت) .
. عون ، د. نسيم
٢٨. الألسنية محاضرات في علم الدلالة ، ط١ ، دار الفارابي بيروت ٢٠٠٥.

. الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب ت٨١٧ هـ
٢٩. القاموس المحيط ، ٨١٧ ، دار النشر : مؤسسة الرسالة – بيروت (د. ت) .
. القاضي النعمان المغربي ، أبي حنيفة بن محمد التميمي ت٣٦٣ هـ
٣٠. شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ، تحقيق : السيد محمد الحسيني الجلالي ، طبع ونشر : مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المشرفة (د. ت) .
. الكليني ، أبي جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق ت٣٢٩هـ
٣١. الفروع من الكافي ، صححه وقابله وعلق عليه على اكبر الغفاري ، ناشر: دار الكتب الاسلامية (د. ت) .
. المجلسي ، محمد باقر ت ١١١١هـ
٣٢. بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار ، ط٢ ، مؤسسة الوفاء بيروت – لبنان ١٤٠٣ هـ .
. محمد عبدة
٣٣. شرح نهج البلاغة للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ط١ ، قم . إيران ١٤١٢هـ .
. المناوي محمد عبد الرؤوف ت ١٠٣١ هـ
٣٤. التوقيف على مهمات التعاريف ، تحقيق : د. محمد رضوان الداية ، الطبعة : الأولى دار النشر : دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – بيروت ، دمشق – ١٤١٠ هـ .
. ابن منظور ، محمد بن مكرم ت٧١١هـ
٣٥. لسان العرب ، الطبعة : الأولى دار النشر : دار صادر – بيروت (د. ت)
. النجفي ، هادي

٣٦. موسوعة أحاديث أهل البيت (ع) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان ٢٠٠٢م .
ـ الواسطي ، علي بن محمد الليثي ت القرن ٦ هج
٣٧. عيون الحكم والمواعظ ، تحقيق : الشيخ حسين الحسيني البيرجندي ، ط١ ، دار الحديث (د. ت)
.
ـ ياقوت الحموي ، ابو عبد الله بن عبد الله ت٦٢٦هـ
٣٨. معجم البلدان ، دار النشر : دار الفكر – بيروت (د . ت).